نظام
الحكم
الأصلح

الباب الثاني
ختم الرسالات السماوية

عند المؤمنين ، يحتاج الإنسان بحكم تكوينه والغاية من خلقه للمراقبة والتوجيه الدائم من الله سبحانه وتعالى ، ولذلك فإن ختم الرسالات السماوية يعني أن مكونات الرسالة الخاتمة ومضامينها تكفى لتلبية حاجاته في المراحل التالية للمسيرة البشرية .

و رسالة الإسلام الخاتمة هي : المرحلة الثانية من رسالة الإسلام الكبرى ، ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [آل عمران] ، وستظل سارية حتى نهاية حياة الإنسان على الأرض وهي الفترة التي تشهد تطورا علميا وتزايدا في أعداد البشرغير مسبوق ، وهي دعوة للتدين الفردي والجماعي ، وفيها ، ولأول مرة ، تطابقت المرجعية مع المعجزة ، وتقدم العقل على الحواس والسمع على البصر ، وعلى ذلك تتشكل محاور العلم والتعلم والمعجزة والمرجعية والدين والتدين ومستوى استقامة الصراط ، وهي تدعوا للتعايش السلمي الكامل بين مختلف الأديان والقوميات والأعراق ، وبعد أكثر من ألف عام من نزولها، وبمستوى ما تحقق من تطور غير مسبوق في كل مجالات الحياة ، يمكننا عمل البحوث والدراسات ، لرسم مسارها التاريخي وتقييم مقدار ومستوى ما تحقق من أهدافها، وما توفر عنها من معلومات وخبرات كما نفعل مع الرسالات والأمم السابقة عن : المشروع الإنساني ، وخالقه ، والإنسان وطبائعه والقوانين التي تتحكم فيه ، والعلم والتعلم والدين والتدين واستقامة الصراط ، وماضي وحاضر ومستقبل المسيرة البشرية ... وتوظيف ذلك وغيره في محاولات لمعرفة ودراسة المكونات الحقيقية لرسالة الإسلام الخاتمة ونظام الحكم فيها، ولرسم خارطة طريق لتقويم مسار مستقبل البشرية .

بتقديرنا لنسبة تعداد البشر بعد الرسالة الخاتمة حتى نهاية حياة الإنسانية على الأرض بما يزيد على 90٪ من جملة المكون البشري في المشروع الإنساني ،

وبنفس النسب ، أكثر من 90٪ ، للتطور العلمي والحضاري والمدني في نفس الفترة ، وعلى ذلك قد يمكننا القول بأن أكثر من 90٪ من مكونات المشروع الإنساني الأساسية تقع داخل نطاق رسالة الإسلام الخاتمة، وقد يكون أيضا ، أكثر من 90٪ من تلك أل 90٪ يقع بعد الألفية الثانية من بعثة الرسول محمد ﷺ .

وقد يكون من الأسباب التي أهلت البشرية لهذه المرحلة المتقدمة من الاعتماد على الذات وختم الرسالات السماوية : ما تحقق من تطور علمي وتسارع عجلته ، وما يرتب على ذلك من تطور مدني وحضاري في كل مجالات حياة الإنسان بما يشبه خط السير المتصل وليشمل كل سكان الأرض من البشر، بعد ما كانت متباعدة في مراحل تكرار وتوالي إرسال الرسل ، وحصر الرسالات السماوية في أماكن وأقوام وفترات زمنية محددة ، وينعكس ويتكامل هذا التطور والتغيير في محور العلم والتعلم على محاور المعجزة والمرجعية والدين والتدين واستقامة الصراط ، فأنزل الله سبحانه وتعالى آخر ما يريد من معلومات وتعليمات بكلامه المباشر الوارد في القرآن الكريم كمعجزة ومرجعية على رسوله محمد ﷺ ولكل البشر في رسالة أخيرة وخاتمة لما تبقى لهم من حياة على الأرض، وقد تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظ هذا الكتاب المقدس الأخير ، وبعد أكثر من ألف عام على نزوله يمكننا القول بأنه على أتم الحفظ والصون والإعجاز والكمال ، والقابلية الدائمة للاستمرار ، وبذلك أصبح كلام الله سبحانه وتعالى ، معجزة الرسالة الخاتمة ومرجعيتها ، موجها لكل الناس مباشرة، وبذلك قد يمكننا القول بأن البشرية قد تهيأت وارتفعت لمستوى التلقي المباشر لجانب من كلام الله سبحانه وتعالى وتعليماته ، وذلك لا يتناقض مع رسالة رسول الله محمد ﷺ ، بل يتكامل معها، وعلى ذلك يتحمل المؤمنون بها القيام بأمرها وقيادة المسيرة البشرية حتى قيام الساعة ، كل على حسب قدرته .

الرسالة الخاتمة :

عندما أهل وقت الرسالة الخاتمة كان العقل قد تقدم على الحواس والسمع على البصر ، وتبع ذلك تطور وتدرج وانتقال شبه كامل من اعتماد العلم والتعلم والدين والتدين والمعجزة والمرجعية على الحواس في حالة ابني آدم إلي الاعتماد شبه الكامل على العقل في رسالة الإسلام الخاتمة ، وما رافق ذلك من تطور وتدرج في الانتقال شبه الكامل من المعجزات والبراهين المادية والحسية في دعم الموجات الأولى من رسل الله صلى الله عليهم وسلم إلى دعمها بالمزيد من البراهين و الحجج والأدلة العقلية في الموجات التالية ، حتى اكتمل ذلك في الرسالة الخاتمة بما يشبه الاعتماد شبه الكامل على البراهين والأدلة والحجج العلمية والعقلية ، وتجسد ذلك في آيات القرآن الكريم ، والتي هي معجزة ومرجعية رسالة الإسلام الخاتمة والأساس للدين والتدين الفردي والجماعي ، وستظل كذلك حتى نهاية حياة الإنسان على الأرض ، وسبق هذا التطور غير المسبوق تطور غير مسبوق في الكتابة بالتحول من استعمال الرسومات والأشكال والرمز إلى أنماط من الحروف والأبجدية ، واستحداث المواد والمعدات الخاصة بها ، حتى أصبحت عندما أهل وقت الرسالة الخاتمة : قابلة للانتقال والانتشار بين عامة الناس وبين التجمعات السكانية البشرية في مختلف بقاع الأرض ، مما يساعد على حفظ ونشر كتابها المقدس كمعجزة ومرجعية دائمة ، وأدى لارتفاع سرعة وعجلة تسارع التطور العلمي وانتشاره في كل المجتمعات في العالم القديم ، وبذلك انتفت الحاجة لنظام الارتباط الموقوت والجامد بين مستوى العلم والتعلم والدين والتدين الذي كان سائدا في الرسالات السماوية السابقة وفقد صلاحيته ، وأهل وقت الانتقال للارتباط المتحرك بين مستوى العلم والتعلم والمعجزة والمرجعية والدين والتدين في مراحل المسيرة البشرية التالية ، وينعكس ذلك على مستوى استقامة الصراط النسبية ، فتصبح متغيرا تابعا ، مما يشكل بديلا عن تكرار إرسال الرسل والكتب المقدسة ، مما يعني ، بالضرورة ،

أن مكونات الرسالة الخاتمة تتضمن القدرات الكامنة لتلبية كل حاجات الإنسانية في مراحلها التالية ، لذلك لا يمكن تحديد مستوى الطاعة المطلوبة واستقامة الصراط في رسالة الإسلام الخاتمة إلا بالاستمرار الدائم في البحوث العلمية والدراسات في مصادر ومكونات رسالة الإسلام الخاتمة وارتباطها بما حققته البشرية من تقدم نظري وعملي في العلوم والمعارف وانعكاساتها على قدرات وحاجات الإنسان في مختلف جوانب الحياة .

امتازت رسالة الإسلام الخاتمة بإحاطتها بكل جوانب حياة الإنسان وبأدق تفاصيلها مما يستدعي أن يكون نظام الحكم والإدارة فيها على نفس هذا المستوى من الإحاطة ودقة التفاصيل، ويفترض في تفسير وتأويل مكونات الرسالة الخاتمة ونظام الحكم فيها ، أن تواكب المستوى العلمي والمدني والحضاري البسيط وقت نزولها والمستوى العلمي والتطور الحالي ، وشديد التطور والتعقيد عندما يظن أهل الأرض أنهم قادرون عليها .

الرسول محمد ﷺ :

اختار الله سبحانه وتعالى رسوله محمد لآخر رسالاته في المشروع الإنساني :

﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [الأحزاب] .

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [آل عمران] .

﴿ طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ ﴾ [طه] .

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء] .

﴿ وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ

خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ﴾ [الإسراء] ، وإذا كان الرسول محمد ﷺ يمكن أن يتعرض لما تعرض له فيما يخص الوحي ، فقد يتعرض في غيره من ظروف الحياة لما قد يساويه أو يزيد عليه ، لذلك قد يحتاج للمراقبة اللصيقة والتوجيه الدائم في ولاية الأمر وشؤون الحكم والسياسة والإدارة ، وبهذا الدعم المباشر والمستمر من الله سبحانه وتعالى تمكن الرسول محمد ﷺ من القيام بمهام الرسالة والتبليغ والدعوة وولاية الأمر والتعامل في حالات الخلاف والتنازع .. ، وهو ما لم ، ولن، يتيسر لغيره من البشر.

القرآن والرسالة الخاتمة :

القرآن هو كلام الله سبحنه وتعالى في مخاطبته شبه المباشرة للرسول محمد ﷺ ، وللإنسانية من بعده ،فيما تبقى لها من حياة على الأرض ، وهو معجزة ومرجعية رسالة الإسلام الخاتمة ، وبذلك ، وفي حالة غير مسبوقة وغير قابلة للتكرار ، تتطابق المعجزة والمرجعية في رسالة سماوية.

و عن بعض مما جاء في القرآن عن القرآن :

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾ [الفرقان] .

﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ ﴾ ﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ ﴾ [هود] .

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [يوسف] .

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ص].

﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحشر] .

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾

[المائدة:48] .

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر] .

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾ [القمر] .

و بعض مما جاء فيه عن المسلمين :

﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [القلم] .

﴿ الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [الحجر] .

﴿ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الحج] .

﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَاۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [الأعراف] .

و قد جاء في القرآن أنه : عربي مبين وميسر .. وقد يكون من ذلك : لفتح الأبواب للبحث والاستنباط والدراسة .. لكل المؤمنين برسالة الإسلام الخاتمة ، خاصة الناطقين بالعربية ، حتى لا يدعي بعض الأفراد أو الجماعات أو التنظيمات أو الحكومات الإنفراد بحقوق الشرح والتأويل والنشر .

العلم و التعلم و الرسالة الخاتمة :

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ [البقرة] .

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ

وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [يونس] .

﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [الزمر] .

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [الملك].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾ ﴾ [البقرة] ، ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ ﴾ [آل عمران] .

و بعد أكثر من ألف عام على نزول القرآن يمكن القول بأن المسلمين أصبحوا من الذين اختلفوا في الكتاب ، وهم في شقاق بعيد ،مما يوفر مجالا واسعا للبحث والدراسة في هذا الزمان ، ولهذه الأسباب ولسلامة النقل والتوثيق والارتباط المتحرك لمستوى الدين والتدين مع مستوى العلم والتعلم ولغيره كان الأساس والتأسيس العلمي للرسالة الخاتمة .

الأساس والتأسيس العلمي للرسالة الخاتمة :

و ليس عشوائيا ولا عبثيا أن يستهل الله سبحانه وتعالى رسالته الأخيرة للبشرية بـ : « بسم الله الرحمن الرحيم ، ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ [العلق]، من خصائص ومواصفات الأكرم بأنه قد يعطي بغير حساب وبلا من ولا أذى ، ولا عائد ولا مصلحة ولمن يستحق ولمن لا يستحق .. ، وأن العلم يشمل العلوم الدينية

والطبيعية و.. وسائل البحث ، وهو الذي يقود إلى التطور والتجديد وارتفاع مستوى القدرات والحاجات في كل جوانب الحياة .. ، وذكر أن وسيلة التعليم هي القلم ، وأن العلم المقصود هو حصيلة المجهود المنظم المكتوب ، و« علم الإنسان » تشير إلى أن هذه المنحة الإلهية عامة لكل من يأخذ بالأسباب من بني الإنسان ، و« ما لم يعلم » تأُكيد على التجديد والتحديث والتطور والإضافات الدائمة للعلم والمعلومات في كل مجالات المعرفة .

و علامات التكريم للعلم ووسائله في رسالة الإسلام الخاتمة أن الله سبحانه وتعالى أقسم بالقلم و بما يُكتب به في مطلع السورة التي سميت بسورة القلم ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ١﴾ ، وهذا يعني أن الرسالة الخاتمة تقوم على المناهج العلمية وأكتاف وجهود أصحاب العقول والقدرات المُميزة في الفكر والتفكر والعلم والتعلم والتصميم والتنفيذ ، وللتعامل مع العلم والتعلم على هذا المستوى من الأهمية يحتاج إلى الانتقال به من الجهود الفردية المحدودة وغير المنظمة التي كانت سائدة في المجتمعات الإنسانية إلى جهود الجماعة والدولة المنظمة ، وبذلك ألحقت رسالة الإسلام الخاتمة العلم والتعلم بحاجات الإنسان الحيوية ، وقد أطلق الرسول محمد ﷺ بعض من أسرى بدر الملمين بالكتابة مقابل تعليمهم لها للأعداد من المسلمين ، وقد ظل العلم والتعلم يتطور وفعاليته وأهميته في ارتفاع واتساع في كل مجالات الحياة حتى أصبح العامل الأكثر أهمية في تحقيق حاجات الإنسان إلى الإطعام من الجوع والأمن من الخوف كما أدى للإضافات المضطردة في حاجات الإنسان الأساسية، ورافق جانب العلم والتعلم وتكاملت معه جوانب القانون والنظام والأخلاق .. وغيرها في الرسالة الخاتم ، وكان على رأس كل ذلك نظام الحكم فيها .

و أكدت الرسالة الخاتمة على أهمية التفكر كوسيلة وطريق للمعرفة واتخاذ القرارات المصيرية الصعبة للأفراد : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ ﴾ [سبأ] ، مع الأهمية العالية لزمان ومكان وأسباب نزول هذه الآية الكريمة والمعنيين بها إلا أنه يمكن القول بأن المعنيين لم يجدوا في ما عرضه عليهم الرسول محمد ﷺ من آيات وأدلة وبراهين على صدق رسالته ما يقنعهم بإتباعه ، أو ما يستدلون به على كذب رسالته فيكفرون بها ، ولا يجدون من ، أو (و) من يساعدهم في حسم هذا الأمر ، لذلك قد يكون التفكر في هذه الحالة وسيلة للأفراد لاستخدام العقل للبحث والدراسة والتعلم واتخاذ قرارات شخصية ومصيرية في مسائل شديدة الأهمية والخصوصية لا يجدي معها علم الآخرين ولا خبراتهم ، وقد يكون في الأمر بالقيام لله إشارة إلى الجدية والإخلاص وقد يكون في تقديم مثنى على فرادى في هذا الترتيب التنازلي إشارة إلى ألا يتجاوز العدد في حالة التفكر الاثنين كحد أقصى، وبذلك يكون التفكر جهد وعمل فردي أو شبه فردي وليس جماعيا كالحوار والنقاش والذي قد يبدأ من مثنى وثلاثة تصاعديا .. كما يفترض في النشاط السياسي ، مما قد يعني ضمنيا الفصل بينهما ، وسنحاول الالتزام بذلك،وقد يحتاج التفكر كوسيلة للمعرفة: للبحث والدراسات في مختلف جوانبه لرفع مستوى فوائده ومساهماته وتفادي سلبياته وسد ما به من نواقص وثغرات .

قد يؤدى التطور الدائم في العلم ومناهج وسائل البحث العلميإلى المزيد من المعلومات والاستنباطات عن الله سبحانه وتعالى والمشروع الإنساني والمسيرة البشرية والخلود النسبي للإنسان وغير ذلك، ومن ذلك:

ما جاء في سورة الواقعة عن السابقين المقربين في جنات النعيم بأنهم : ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ ، ولم يكن مما يسر المسلمين أن يكون الآخرون أقلية ، فنزلت لترضيهم الآيات : ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾، ونالت

قبول الأكثرية منهم لأنهم من متوسطي الذكاء ، ولكن قد يتساءل الأذكياء : هل زاد الله سبحانه وتعالى أعداد ونسبة الآخرين ليرضي المؤمنين وبذلك يكون قد غير في حكمه ؟ أو ما الذي حدث في الحقيقية ؟ وماذا هم فاعلون إذا ما كان يترتب على هذا الأمر أحكام وحقوق ومسئوليات ؟ وما كانت لهم من وسائل للتعامل مع مختلف الافتراضات والخلافات ، إلا أن يقولوا آمنا به ، كل من عند الله ، ولكن اليوم يستطيع التلميذ الدارس للنسبة والتناسب عمل الحسابات والنسب بعد تقدير الإحصائيات المناسبة عن أعداد المسلمين والعدد الكلي للأنفس فيوقت نزول الآيات وفي هذا الزمان ، وهو ما يعني ثبات البسط « ثلة » وزيادة المقام في الآخرين عن الأولين ، وسنجد أن ما جاء في الآيات (13) و(14)يتطابق مع ما جاء في الآيات (39) و(40)و أن لا فرق بينهما ، وقد يرى بعض الذين آمنوا برسالة الإسلام الخاتمة بأن الآيات الثانية كانت تغنى عن نزول الأولى وتتجنب اللبس ، وقد يرى آخرون أنه يمكن تجنب الموضوع برمته لعدم جدواه العملية ، ولكن كل ذلك لم يحدث ، وما كان ذلك عبثا ولكن لنأخذه مأخذ الجد مثل كل ما جاء في القرآن ورسالة الإسلام الخاتمة ، وفيه تأكيد على صلاحية وجدوى محاولات البحث والاستنباط والدراسة لمكونات رسالة الإسلام الخاتمة بإمكانات ووسائل وآليات وقدرات هذا الزمان لتلبية حاجات إنسان هذا الزمان ، وقد يرى البعض تكامل ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ مع ﴿إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان:30] ، وقد يترتب علي هذا التكامل المفترض أحكام والتزامات وخلافات .. ، وعلى ذلك يمكن القول بأن خطاب الآيات للسابقين كان يتناسب مع قدراتهم العلمية وحاجاتهم ومع القدرات العلمية وحاجات أهل هذا الزمان ، وقد يشير ذلك إلى بعض من حكمة تصنيف ، وأسباب نزول آيات ، من القرآن محكمات وأخر غير محكمات ، وغير ذلك من علوم القرآن ، أما إذا ما كانت تترتب على هذه الآيات أحكام ، ستكون موضع خلافات غير قابلة للحسم

لأكثر من ألف عام ، والله لطيف لما يشاء .

تشمل رسالة الإسلام الخاتمة كل سكان الأرض مما يؤدي لتباين مستويات العلم والتعلم في مختلف الأقاليم السكانية ، مما يؤدي لتباين مستويات ارتباط الدين والتدين مع العلم والتعلم ، كما أن مستوى هذا الارتباط هو الذي تنبني عليه العلاقات مع غير المؤمنين بالرسالة الخاتمة في مختلف الدول والأقاليم ، مما يضيف المزيد من المتغيرات والمحددات والضوابط لشكل ومضمون هذا الارتباط ، ويرفع من مستوى أهميته في هذا العصر والمراحل التالية .

ما نخلص إليه : أن الارتباط المتحرك وتكامل محور الدين والتدين مع محور العلم والتعلم ، لا فكاك معه في رسالة الإسلام الخاتمة، وذلك ينعكس على كل مجالات الحياة وحاجات ونشاطات المسلم الدينية والدنيوية ، الخاصة والعامة ، وبما أن رسالة الإسلام الخاتمة تشمل كل سكان الأرض ، ولتباين مستويات العلم والتعلم في مختلف الأقاليم السكانية والأزمان ، ولما ينجم عن هذا الارتباط من نظم وقوانين وضوابط وتشريعات .. تنعكس على أشكال ومستويات العلاقات والتعامل فيما بين المسلمين ومع الآخرين ، مما يزيد من أهميته وخطورته ،و لتحقيق هذا الارتباط على هذا المستوى ، قد يحتاج المسلمون إلى وسائل وآليات وقدرات بخلاف ما هو مألوف لديهم ، وقد لا يكتمل هذا المسعى إلا باستحداث أبوب للمعرفة ووسائل غير تقليدية.

الإنسان والرسالة الخاتمة :

لم تتغير خصائص وصفات الإنسان الأساسية التي خلق الله سبحانه وتعالى الناس عليها ولا القوانين التي تحكمه ، ولكن الارتفاع المطردة في أعداد الأنفس وللتحول الكمي والنوعي في حاجات الإنسان إلي الإطعام من الجوع والأمن من الخوف والاتساع المطرد في دوائر المشاركين وارتفاع مستوى قوة الارتباط بين الأفراد والجماعات ، وإضافة الرسالة الخاتمة العلم والتعلم لحاجات الإنسان الحيوية ، ووضعت أنظمتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعدلية .. ، وفرضت زكاة الأموال العينية والنقدية كمورد للجماعة وأحد وسائل إشباع حاجات الأفراد والجماعات للإطعام من الجوع والأمن من الخوف والعلم والتعلم ،و ما ينجم عن ذلك من تطور وتداخل وتعقيد في حياة الناس ، والتراكم الكمي قد يؤدي إلى أشكال من التحول النوعي، وقد يكون من أسباب ذلك وغيره: ارتفاع شكل ومستوى الإلزام والتكليف للذين آمنوا برسالة الإسلام الخاتمة كأفراد وجماعات كما في نظام الحكم كما سنرى وفي : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾ [النساء] ، مما يؤدى للزيادة المضطردة في أسباب وأشكال ومستويات الخلاف والتنازع بين الأفراد والجماعات الإسلامية .

الخلاف والتنازع والرسالة الخاتمة :

يتناسب التعامل مع الخلافات والنزاعات وأسبابها ، وبالتالي مستوى السلام الذي يمكن أن يحققه المؤمنون بالرسالات السماوية عامة، مع مستوى كفاءة الارتباط بين مستوى الدين والتدين مع مستوى العلم والتعلم، وبما أن هذا الارتباط متحرك في الرسالة الخاتمة ، وأن الرسالة الخاتمة قد ألغت قيود الزمان والمكان والقوم للرسالات السماوية ورفعت سقف الحريات والتعايش السلمي

لمستوى من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، وأضافت العلم والتعلم لحاجات الإنسان الحيوية ، وفرضت الزكاة والصدقات كوسائل للتكافل الاجتماعي ولإعادة توزيع الثروة .. ، وأنها تغطي كل المجتمعات الإنسانية في كل مراحلها التالية مع كل مستويات التطور والتباين في تلك المراحل مما يزيد من أسباب وأشكال ومستويات الخلافات والنزاعات بين الناس .

و ينعكس ذلك على ارتفاع مستويات التمدن والتحضر ، وارتباط وتكامل الأفراد والجماعات والأمم مع بعضهم البعض ، مما يؤدي للمزيد من أسباب الخلاف والتنازع بين الأفراد والجماعات والأمم ، ويدعو ذلك لعمل الأبحاث والدراسات الدائمة والمتطورة في مراحل المسيرة البشرية التالية ، ويتكامل ذلك مع تحقيق المزيد من أسباب ووسائل تقوية واستقامة الصراط ليتحقق التعايش السلمي.

الصراط المستقيم والرسالة الخاتمة :

كان الصراط المستقيم في الرسالات السماوية السابقة ينجم عن مستوى ارتباط العلم والتعلم مع المعجزة ، وبما أن كل هذه المكونات كانت ثابتة نسبيا خلال فترة سريان الرسالة ، فإن مستوى الارتباط يظل ثابتا نسبيا ، وكذلك الصراط وما ينجم عنه من أحكام وتشريعات ستظل كذلك لحين الانتقال للرسالة التالية ، أما الرسالة الخاتمة فقد تم إعدادها بحيث تواكب كل التطورات التالية في كل المجالات وبكل التفاصيل ، ولذلك يكون مستوى الارتباط متحركا ويشمل الصراط كل تفاصيل مكونات حياة الإنسان ، وعلى قدر مستوى الإحاطة بهذه المكونات وتفاصيل ودقة تحليلها ودراستها وتصنيفها وتحديد كيفية التعامل معها ووضع النظم والقوانين الخاصة بذلك ، يكون مستوى استقامة الصراط النسبي ، ومعلوم أن سورة الفاتحة تتكرر في كل ركعات الصلاة مع آيات أخرى من القرآن أو بدونها ، وأن الآيات الأولى في سورة الفاتحة هي تمهيد وتوسل لله

سبحانه وتعالى ليستجيب لطلبهم : ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ ، ووصفتها لآيات التالية بأنه : صراط الذين أنعم الله عليهم ، ومنها أنعم الله الأكرم الذي علم بالقلم، وعلم الإنسان ما لم يعلم ، وهذا الانسياب الدائم للعلم وطلبه هو الذي يؤدى إلى استمرار وارتباط مستوى استقامة الصراط مع حركة تطور العلم والتمدن والتحضر الدائمة ، وأنه صراط غير المغضوب عليهم ، لأن من يستوجب غضب الله يكون قد خرج عن الصراط المستقيم ولم ينتفع بما وهبه الله من علم ، ومثلهم الضالون الذين لا يتبعون الوسائل التي تؤدي إلى استقامة الصراط ، ونلاحظ أنه جاء في السورة : « أهدنا » وليس أهدني ، وبذلك يكون الدعاء بهداية الجماعة للصراط المستقيم هو محور السورة ومركز الثقل فيها ، وعلى نفس المستوى تكون أهميته في الصلاة ، والصلاة عند المسلمين هي الصلة الدائمة بين الله وعباده ، ويعلم المسلمون بأن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر والبغي وهي من أكبر الآفات والعلل التي تصيب الإنسان والمجتمعات الإنسانية وأنظمة الحكم عندما لا تهتدي إلى الصراط المستقيم .. ، ويمكن وضع نظام الحكم ونظام تعامل الجماعة في أمورها العامة المشتركة من بين أهم أسباب ومقاييس استقامة الصراط، ولا يرتفع تصنيف مستوى نظام الحكم عند المسلمين ولا استقامة الصراط إلا بتطبيق نظام الشورى وملحقاته ، وبذلك يكون الالتزام بتطبيق الشورى من أهم ثمرات الدعاء بطلب الاهتداء للصراط المستقيم الذي يتكرر في كل ركعات الصلاة لذلك أصبحت الرسالة الخاتمة في حاجة لتصميم نظام الحكم الذي يتناسب معها ويلبي استحقاقاتها في كل مراحل المسيرة البشرية التالية .